

الضمائر المنعكسة في اللغة العربية

دكتور محمود أحمد نخله

كلية الآداب - جامعة الاسكندرية
كلية الآداب - جامعة بيروت العربية





دار العلوم العربية

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤١٠ هـ ١٩٩٠ م

الناشر

دار العلوم العربية

للطباعة والنشر
مقابل جامعة بيروت الإسلامية
بنائية عنان
هاتف: ٣٠٧١٧٣
ص ب: ٩٥٣٥ - ١١
بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

لا يزال الدرس النحوي العربي القديم في حاجة إلى قراءة معاصرة تفيد من اتجاهات الدرس الحديث ، ومناهجه ، وطرائقه في رصد الظواهر اللغوية ، ومعالجتها على نحو مضبوط ، ويمكن الكشف بها عن ظواهر لم يعرض لها النحاة القدماء ومن صدر عن منهجهم من المحدثين ، أو عرضوا لها ولكن لم يوفوها حقها من البحث الكاشف لها والمحيط بها . وليس من شك في أن أجيالاً من الباحثين - وبخاصة من اتصل منهم بعلم اللغة الحديث دراسة وفهماً - حاولوا ، ويحاولون الآن الاستفادة من جهود علماء اللغة المحدثين في أوروبا وأمريكا في تجديد نظرتهم لتراثنا النحوي كله ، والكشف عن كنوزه المخبوءة ، وإثرائه ، والإضافة إليه ، وإبراز عناصر القوة فيه، وإصلاح ما قد يكون فيه من جوانب النقص والقصور .

والنحاة العرب لم يعرفوا مصطلح « الضمائر

المنعكسة reflexive pronouns « وإن عرفوا بعض ما يدخل فيه ، ويندرج تحته ، وعرفه نحاة بعض اللغات الأخرى ، واستخدموا لما يدل عليه مصطلحاً بديلاً هو « الأفعال المنعكسة »^(١) reflexive verben وهم يرون أن الضمير يكون منعكساً إذا كان مفعولاً للفعل ، متحداً coreferential مع الفاعل أو عائداً إليه^(٢) ، والأفعال المنعكسة عندئذ هي الأفعال التي يكون معها الفاعل والمفعول به متطابقين أو عائدين إلى شخص واحد^(٣) .

وقد عرف نحاة العربية هذه الظاهرة من خلال درسهم لما أسموه « أفعال القلوب » وهي عند بعضهم سبعة أفعال : ظن ، وحسب ، وخال ، وزعم ، وعلم (إذا لم تكن بمعنى عرف) ، ورأى (إذا لم ترد رؤية

(١) Gerbe, P.: Grammatik der deutschen Gegenwartssprache

Duden 4 (Mannheim 1973) S. 75.

(٢) Perlmutter, D. & Soames, S. : Syntactic Argumentation and the Structure of English (U.S.A 1979) p.9.

(٣) Helbig, G. & Buscha, J. : Deutsche Grammatik (Leipzig 1980) S.65.

العين) ووجد (إذا لم ترد وجدان الضالة)^(١) .
وأضاف إليها بعضهم « عدم » ، و« فقد » إذا كانتا
للدعاء ، « وهَبْ » (بمعنى احسب)^(٢) وذكروا أن
من خصائصها « أنك تجمع فيها بين ضميري الفاعل
والمفعول فتقول : علمتني منطلقاً ووجدتك فعلت
كذا ، وراه عظيماً ، وقد أجرت العرب عدمت وفقدت
مجراها ، فقالوا « عدمتني وفقدتني »^(٣) . ولما كان
هذا من خصائص « أفعال القلوب » فقد نصوا على أن
ذلك لا يجوز في غيرها ، بل يتوصل إلى التعبير عن
هذا المعنى في غير أفعال القلوب بطريقة أخرى
سنعرض لها .

ونود قبل الخوض في وصف هذه الظاهرة
تركيبياً ودلالياً أن نعرض لما جاء عنها في كتب النحو
العربي ، لنقف على ما وصلوا إليه فيها ، ونعرف أي

(١) سيبويه : الكتاب . تحقيق عبد السلام هارون

(القاهرة ١٩٦٦ - ١٩٨٧) ٢ / ٣٦٧ ، الزمخشري : المفصل

في علم العربية (بيروت د . ت) ص ٢٥٩ .

(٢) الزمخشري : المفصل ص ٢٦٢ ، الرضى : شرح الكافية

لابن الحاجب (القاهرة ١٣١٠هـ) ٢ / ٢٨٥ .

(٣) الزمخشري : المفصل ص ٢٦٢ .

مدى بلغوه في الكشف عنها والإحاطة بها :

جاء في كتاب سيويه : « هذا باب لا تجوز فيه علامة المضممر المخاطب ، ولا علامة المضممر المتكلم ، ولا علامة المضممر المحدث عنه الغائب ، وذلك أنه لا يجوز لك أن تقول للمخاطب : اضربك ، ولا اقتلك ، ولا ضربتك ، لما كان المخاطب فاعلاً وجعلت مفعوله نفسه قبح ذلك ، لأنهم استغنوا بقولهم اقتل نفسك وأهلك نفسك ، عن الكاف ها هنا وعن إياك .

وكذلك المتكلم ، لا يجوز له أن يقول أهلكني ولا أهلكني لأنه جعل نفسه مفعوله فقبح ، وذلك لأنهم استغنوا بقولهم أنفع نفسي عن « ني » ، وعن « إياي » .

وكذلك الغائب لا يجوز لك أن تقول ضربه إذا كان فاعلاً وكان مفعوله نفسه ، لأنهم استغنوا عن الهاء وعن إيا بقولهم ظلم نفسه وأهلك نفسه ، ولكنه قد يجوز ما قبح ها هنا في حسبت وظننت وخلت ، وأرى وزعمت ، ورأيت إذا لم تكن رؤية العين ، ووجدت إذا لم ترد وجدان الضالة ، وجميع حروف الشك ،

وذلك قولك حسبْتُني وأراني ووجدْتُني فعلت كذا وكذا ، ورأيتُني لا يستقيم لي هذا . وكذلك ما أشبه هذه الأفعال ، تكون حال علامات المضميرين المنصوبين فيها إذا جعلت فاعليهم أنفسهم كحالها إذا كان الفاعل غير المنصوب .

ومما يثبت علامة المضميرين المنصوبين ها هنا أنه لا يحسن إدخال النفس ها هنا . لو قلت يظن نفسه فاعلة وأظن نفسي فاعلة على حد يظنه وأظنني ليجزىء هذا من ذا لم يجزىء كما أجزأ أهلكت نفسك عن أهلكتك ، فاستغنى به عنه . . . وإذا أردت برأيت رؤية العين لم يجز رأيتُني ، لأنها حينئذ بمنزلة ضربت^(١) .

وجاء فيه أيضاً : « ولا يجوز أن تقول ضربتُني ، ولا ضربتُ إياي ، لا يجوز واحد منهما لأنهم استغنوا عن ذلك بضربتُ نفسي ، وإياي ضربتُ »^(٢) .

هذان النصان النفيسان من كتاب سيبويه تردد صداهما من بعد في كتب النحاة الخالفين ، وأضاف

(١) سيبويه : الكتاب ٢ / ٣٦٦-٣٦٨ .

(٢) السابق ٢ / ٣٦٦ .

بعضهم إلى ما جاء فيهما تفصيلات من الأهمية
بمكان ، سنعرض لها إن شاء الله .

ويمكننا أن نلاحظ في كلام سيبويه ما يأتي :

١ - فهم سيبويه ظاهرة « الانعكاس » كما فهمها نحاة
الغرب ، دون أن يضع لها مصطلحاً خاصاً كما
فعلوا ، بل جعلها جزءاً من تعديده الفعل إلى
المفعول ، فالرجل يدرك ما حددوا به معنى
« الانعكاس » ، وهو أن يوقع الفاعل الفعل
بنفسه ، فيكون الفاعل مفعولاً به ، وعبارته
صريحة في ذلك : « ... لما كان المخاطب
فاعلاً ، وجعلت نفسه مفعوله ... » ، « ... لا
يجوز له أن يقول أهلكُني ولا أهلكُني لأنه جعل
نفسه مفعوله ... » .

٢ - حدد سيبويه الضمائر التي تحمل هذا المعنى
بضمائر النصب والجر المتصلة وهي ياء المتكلم
وكاف المخاطب ، وهاء الغائب ، ثم « إيا »
مقدمة مضافاً إليها ضمائر التكلم والخطاب
والغيبة ، واستبعد بذلك أن تحمل ضمائر الرفع
هذا المعنى ، ومثل هذا نجده عند نحاة

الألمانية ، إذ ينصون على أن الضمائر المنعكسة لا تستخدم إلا في حالتي النصب والجَر ، ولا يمكن أن تستخدم في حالة الرفع^(١) .

٣ - ذكر سيويه أن هذه الضمائر ترد مباشرة مع بعض الأفعال ، وقد ترد مسبقة بكلمة « نفس » أو « إيا » . ووضح أن سيويه يسوى بين قولك :

ضربتُ نفسي ، وإياي ضربتُ ، ومع أنه يمنع :
ضربتُ إياي ، فقد أورد في موضعين من كتابه شاهدا يدل على استخدامه ، هو قول ذي الإصبع العدواني :

كَأَنَّا يَوْمَ قُرَى إِ نَمَّا نَقْتُلُ إِيَّانَا^(٢)

أي : نقتل أنفسنا ، وقد حمل سيويه هذا الشاهد على الضرورة .

(١) Grebe, P. Grammatik der deutschen Gegenwartssprache (١)
Duden 4 S. 276.

(٢) سيويه : الكتاب ٢ / ١١١ ، ٣٦٢ ، والرضى : شرح الكافية
١٤ / ٢ .

٤ - ما ذكره سيبيويه يدل على أن الأفعال مع الضمائر المنعكسة تتصرف تصرفها مع غيرها فتزد ماضية ، ومضارعة ، وأفعال أمر ، وقريب من ذلك موجود في غير العربية أيضاً كاللغة الألمانية ، فإن الأفعال المنعكسة فيها تستخدم من حيث الزمن Tempus ودلالة الصيغة Mudus استخدام الأفعال غير المنعكسة^(١) .

٥ - عرض سيبيويه لتوزيع^(٢) هذه الضمائر محدداً استخدامهما الصحيح والمواضع التي تخرج فيها على الصحة النحوية ، ويمكننا أن نوضح ذلك على النحو الآتي :

- (١) أ - * (أنا) ضربتني
- ب - * (أنت) ضربتك
- ج - * (هو) ضربته

(١) Helbig & Buscha: Deutsche Grammatik S. 176.

(٢) انظر في توزيع الضمائر المنعكسة وغير المنعكسة في اللغة الإنجليزية :

Perlmutter & Soames: Syntactic Argumentation p. 8

- (٢) أ - (أنا) ضربتُ نفسي (إياي ضربتُ) .
ب - (أنت) ضربتَ نفسك (إياك ضربتَ) .
ج - (هو) ضربَ نفسه (إياه ضربَ) .

- (٣) أ - (أنا) ظننتُ نفسي مجتهدا
ب - (أنت) * ظننتَ نفسك مجتهدا
ج - (هو) * ظنَّ نفسه مجتهدا

- (٤) أ - (أنا) ظننتُني مجتهدا .
ب - (أنت) ظننتَكَ مجتهدا .
ج - (هو) ظنَّه مجتهدا .

بمقارنة هذه المجموعات يتضح أن الضمائر المتصلة التي تتحد مع الفاعل أو تعود إليه نوعان : ضمائر مسبقة بكلمة نفس ، وضمائر غير مسبقة بها ، وحيث تجوز هذه لا تجوز تلك ، وهي في الحالة الثانية مفعول مباشر للفعل ، وفي الحالة الأولى انتقل حكم الضمير إلى كلمة نفس ، ف وقعت مفعولاً به ، وأضيف الضمير إليها . والأفعال التي يرد معها ضمير المفعول عائداً على ضمير الفاعل غير مسبوق بكلمة « نفس » أفعال محدودة ، تكون مجموعة

« مغلقة » من الأفعال حددها النحاة بعشرة أفعال ، أما الأفعال التي يرد ضمير المفعول معها عائداً على ضمير الفاعل مسبقاً بكلمة « نفس » فهي مجموعة « مفتوحة » تشمل سائر الأفعال .

وإذا جاز لنا أن نعتد الأمثلة التي وردت في رقم (١) بنية باطنة عميقة deep structure « تحولت » في الأمثلة التي وردت في رقم (٢) إلى بنية سطحية ظاهرة surface structure جاز لنا أن نعتد الأمثلة التي وردت في رقم (٣) بنية باطنة « تحولت » في الأمثلة التي وردت في رقم (٤) إلى بنية سطحية ظاهرة ، وإذا جاز أن يكون الضمير المنعكس مسبقاً بـ « نفس » أو « إيا » في رقم (٢) ، فإنه لا يجوز أن يكون كذلك في رقم (٤) . ويجوز لنا بعد ذلك أن نضع قاعدتين إجباريتين « تتولد » بهما الضمائر المنعكسة ، وتشملان المادة اللغوية السابقة الواردة في كتاب سيويه :

القاعدة الأولى :

إذا كان الضمير مفعولاً أول لفعل من أفعال القلوب عائداً على الفاعل كان ضميراً منعكساً .

القاعدة الثانية :

إذا كان الضمير عائداً على الفاعل في غير أفعال
القلوب مسبوقاً بكلمة نفس أو إيا كان ضميراً
منعكساً .

وعلى أساس من هاتين القاعدتين يمكن استبعاد
أن تكون الضمائر في الأمثلة الآتية ضمائر منعكسة :

- (٥) أ - (أنا) ضربْتُكَ .
ب - (أنا) ضربْتُهُ .
- (٦) أ - (أنت) ضربْتَنِي .
ب - (أنت) ضربْتَهُ .
- (٧) أ - (هو) ضربَنِي .
ب - (هو) ضربَكَ .
- (٨) أ - (أنا) ظننْتُكَ . . .
ب - (أنا) ظننْتُهُ . . .
- (٩) أ - (أنت) ظننْتَنِي . .
ب - (أنت) ظننْتَهُ . . .
- (١٠) أ - (هو) ظنَّنِي . . .
ب - (هو) ظنَّنَكَ . . .

كذلك لا يمكن أن « تتولد » بهما التراكيب

السطحية الآتية :

(١١) أ- * (أنا) ضربتُ نفسَك .

ب- * (أنا) ضربتُ نفسَه .

(١٢) أ- * (أنت) ضربتَ نفسي .

ب- * (أنت) ضربتَ نفسه .

(١٣) أ- * (هو) ضرب نفسي .

ب- * (هو) ضرب نفسك .

(١٤) أ- * (أنا) ضربتُني .

ب- * (أنت) ضربتَك .

ج- * (هو) ضربَه .

(١٥) أ- * (أنا) ظننتُ نفسي ...

ب- * (أنا) ظننتُ نفسَك ...

ج- * (أنا) ظننتُ نفسَه ...

(١٦) أ- * (أنت) ظننتَ نفسَك ...

ب- * (أنت) ظننتَ نفسي ...

ج- * (أنت) ظننتَ نفسه ...

(١٧) أ- * (هو) ظن نفسه ...

ب - * (هو) ظن نفسي ...

ج - * (هو) ظن نفسك ...

ولا يمكن بهما أيضاً إنتاج جمل « نحوية » في
البنية السطحية مثل :

(١٨) أ - * نفسي ضربتني .

ب - * نفسك ضربتك .

ج - * نفسه ضربته .

ولنشر الآن إلى ملحظ نراه ضرورياً في المادة
اللغوية السابقة ، فقد حكمنا على (١٤ ج) : هو
ضربه بأنها غير صحيحة نحوياً ، بناء على القاعدة
الثانية على أساس أن الضارب هو المضروب كما
يمكن إيضاح ذلك بالطريقة الآتية :

هو ضربه
م م

لكن هذه الجملة تحتل أن يكون الضارب فيها
غير المضروب ، فلا يعود فيها ضمير المفعول على
ضمير الفاعل ، كما يمكن إيضاح ذلك بالطريقة
الآتية :

هو ضربه

ب

ولذلك لا بد من العودة إلى البنية الباطنة التي تحتوي على الخبر المراد ، فإذا كان الضارب فيها هو المضروب انطبقت عليها القاعدة الثانية فولدت منها الجملة الصحيحة نحويًا وهي : هو ضرب نفسه ، وإن كان الضارب فيها غير المضروب تولدت هذه البنية : هو ضربه الصحيحة نحويًا ، وبهذا نعلم أن من التراكيب السطحية الظاهرة ما لا يمكن الحكم عليه بالصحة النحوية أو انتفاءها عنه إلا بعد العودة إلى البنية الباطنة العميقة . وهذا الأمر غير متحقق في المادة اللغوية السابقة إلا في ضمير الغائب .

ولعل من اللازم الآن أن نختبر انطباق القاعدتين اللتين وضعناهما بناء على ما ورد من أمثلة في كتاب سيويه على مادة لغوية مستعملة في أوثق نص عربي وأجدره بالاعتماد عليه ، وهو القرآن الكريم . والأمر في القاعدة الأولى هين ميسور ، إذ الضمائر المنعكسة « تولد » بها مع مجموعة « مغلقة » من الأفعال محددة كما ذكرنا بعشرة أفعال ، فإذا ذهبنا نلتمس لها دليلاً

من القرآن الكريم وجدنا أنه لم يرد من أفعال القلوب التي يعود مفعولها الأول على فاعلها غير الفعل المضارع « يرى » مسنداً إلى ضمير المتكلم ، وذلك في قوله تعالى :

﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ ﴾

(يوسف ٢٦)

وغير الفعل « رأى » ماضياً مسنداً إلى ضمير الغائب كما في قوله تعالى :

﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْطَغَى . أُنْ رَأَهُ اسْتَغْنَى ﴾

(العلق ٧)

والقاعدة منطبقة عليهما ، فالضمير مفعول أول لفعل من أفعال القلوب عائد على الفاعل ، فهو إذن ضمير منعكس .

فإذا تتبعنا استخدام القرآن الكريم لأفعال القلوب التي وردت فيه استخداماً انعكاسياً وهي : ظن ، وحسب ، ورأى ، وعلم ، تبين لنا أن القرآن

الكريم يدخل في عدد من المواضع « أن » على
الضمير المنعكس على الفاعل ، وأكثر ما يكون ذلك
مع الغائب منعاً للبس الذي أشرنا إليه في المثال
(١٤ ج) ، وذلك في قوله تعالى :

- ﴿ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَا نَعْتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ ﴾
(الحشر ٢)
- ﴿ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ﴾ (يونس ٢٢)
- ﴿ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا ﴾ (يوسف ١١٠)
- ﴿ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا ﴾ (الكهف ٥٣)
- ﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ ﴾
(البقرة ٤٦)
- ﴿ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ . . . ﴾
(البقرة ٢٤٩)
- ﴿ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴾
(الأعراف ٣٠)
- ﴿ وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾
(الكهف ١٠٤)
- ﴿ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ ﴾
(المجادلة ١٨)

— ﴿ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا ﴾

(الأعراف ١٤٩)

وظاهر أن الضمير إذا اتصل بالضمير دون أن تفصل بينهما « أن » ف قيل : فظنّوهم ، أو : يحسبونهم ، أو : رأوهم ، أدى ذلك إلى اللبس في البنية السطحية الظاهرة فالضمير عندئذ يحتمل العودة على الفاعل فيكون ضميراً منعكساً ، والعودة على غير الفاعل فيكون غير منعكس .

والقرآن الكريم يلجأ إلى ذلك أيضاً إذا كان الفاعل مفصلاً عن ضمير النصب المنعكس عليه ، إذ لا يمكن عندئذ اتصال الضمير بالفاعل ، فوسطت « أن » بينهما ، كما في قوله تعالى :

— ﴿ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا ﴾

(يونس ٢٤)

— ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴾

(المطففين ٤)

— ﴿ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ ﴾

(الصافات ١٠٢)

وقد فصلت « إن » المكسورة الهمزة بين الفاعل

الظاهر والضمير المنعكس عليه في موضع واحد في قوله تعالى :

— ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتِ الْإِجْنَةَ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾
(الصافات ١٥٨)

وعلى أساس مما عرضناه من مادة لغوية ينبغي أن نعود إلى القاعدة الأولى التي وضعناها بناء على ما ورد في كلام سيبويه والنحاة من بعده ، فنجري عليها التعديل الآتي :

القاعدة الأولى :

إذا كان مع أفعال القلوب ضمير عائذ على الفاعل كان ضميراً منعكساً .

وننتقل الآن لننظر فيما تنطبق عليه القاعدة الثانية من القرآن الكريم ، فقد ورد فيه قوله عز وجل :

- ﴿ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾ (البقرة ١٣٠)
- ﴿ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾ (البقرة ٢٣١)
- ﴿ ظَلَمْتُ نَفْسِي ﴾ (النمل ٤٤)
- ﴿ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ ﴾ (البقرة ٥٤)

- ﴿ إِنَّ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ ﴾ (الأحزاب ٥٠)
- ﴿ فَتَنَّمْ أَنْفُسَكُمْ ﴾ (الحديد ١٤)
- ﴿ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ (الأعراف ٩)
- ﴿ وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي ﴾ (يوسف ٥٣)
- ﴿ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ﴾ (البقرة ٢٠٧)
- ﴿ يَظْلِمُ نَفْسَهُ ﴾ (النساء ١١٠)
- ﴿ لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي ﴾ (المائدة ٢٥)
- ﴿ وَتَسُونِ أَنْفُسَكُمْ ﴾ (البقرة ٤٤)
- ﴿ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ ﴾ (البقرة ١٨٧)
- ﴿ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ ﴾ (التوبة ٣٦)
- ﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ (النجم ٣٢)
- ﴿ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ ﴾ (النساء ٤٩)
- ﴿ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ ﴾ (النساء ١٠٧)
- ﴿ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ ﴾ (النساء ١١٣)
- ﴿ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ ﴾ (الأنعام ٢٦)
- ﴿ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴾ (الأعراف ١٩٢)

— ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ (الكهف ٢٨)

— ﴿وَلَوْ مُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ (إبراهيم ٢٢)

وواضح أن القاعدة الثانية تنطبق انطباقاً تاماً
على العبارات القرآنية السابقة مع تعديل طفيف فيها
على النحو الآتي :

القاعدة الثانية :

إذا كان الضمير عائداً على الفاعل في غير أفعال
القلوب مسبوقاً بكلمة (نفس) أو جمعها (أنفس)
كان ضميراً منعكساً .

وواضح أيضاً أن الضمير في النصوص السابقة
لم يرد مسبوقاً بـ (إيا) ، لكن ورد في كلام سيبويه
ما يجيز نحو (إياي ضربت) .

فوجب أن يضاف إلى القاعدة فتصبح :

القاعدة الثانية :

إذا كان الضمير عائداً على الفاعل في غير أفعال
القلوب مسبوقاً بكلمة (نفس) أو جمعها (أنفس) أو
بكلمة (إيا) كان ضميراً منعكساً .

على أننا قد وجدنا في القرآن الكريم شاهداً بنى فيه الفعل للمجهول ، فلم ينعكس الضمير على الفاعل ، بل انعكس على نائب الفاعل ، وذلك في قوله تعالى :

— ﴿ لَا تُكَلِّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ﴾ (النساء ٨٤)

من ثم وجب أن تعدل القاعدة مرة أخرى لتصبح :
القاعدة الثانية :

إذا كان الضمير عائداً على الفاعل أو نائبه في غير أفعال القلوب مسبوقةً بكلمة (نفس) أو جمعها (أنفس) أو بكلمة (إيا) كان ضميراً منعكساً .

ولما كانت كلمة (نفس) أو جمعها ، وكلمة (إيا) ترد كل منهما ملازمة للضمير المنعكس لا تنفك عنه ، ولا ينفك عنها أو يذهب عن الضمير معنى الانعكاس ، وتصبح الجملة التي يرد فيها « غير نحوية » ، فإننا نبيح لأنفسنا أن نطلق على الضمير المسبوق بكلمة (نفس) أو جمعها (أنفس) ، أو المسبوق بكلمة (إيا) مصطلح « ضميمة منعكسة » ليتيسر لنا الوصف التركيبي والدلالي لها .

أولاً : الوصف التركيبي :

أ- مع أفعال القلوب :

١ - الضمائر المنعكسة مع أفعال القلوب لا تكون إلا ضمائر تكلم أو خطاب أو غيبة في محل نصب وتنعكس على الفاعل ضميراً أو اسماً ظاهراً ، غير مفصولة عنه ، أو مفصولة عنه بـ (أن) أو (إن) . والنحاة يجعلون من خصائص هذه الأفعال أن ضمير الفاعل فيها يتعدى إلى ضمير المفعول ، ولا يلتفتون إلى فاعلها الظاهر ، ولا إلى توسط (أن) أو (إن) بين الفاعل والضمير المنعكس عليه ، لأن شأنها في ذلك شأن سائر الأفعال غير المنعكسة المتعدية إلى مفعولين ، يقول ابن السراج : « ويجوز في باب ظننت وحسبت أن يتعدى المضمير إلى المضمير »^(١) . ويقول الزمخشري : « ومنها (أي من

(١) ابن السراج : الأصول في النحو . تحقيق الدكتور عبد الحسين الفتلي (بيروت ١٩٨٧) ٢٢ / ١٢١ .

خصائصها) أنك تجمع فيها بين ضميري الفاعل والمفعول فتقول : علمتني منطلقاً ، ووجدتك فعلت كذا ، ورآه عظيماً^(١) . وقال ابن يعيش في شرحه لعبارة الزمخشري : « وأما أفعال القلوب التي هي ظننت وأخواتها فإنه يجوز ذلك فيها ويحسن ، فيتعدى « ضمير » الفاعل فيها إلى « ضمير » المفعول الأول دون الثاني فتقول : ظننتني غنياً ، وحسبتك غنياً ، وذلك لأن تأثير هذه الأفعال إنما هو في المفعول الثاني ، ألا ترى أن الظن والعلم إنما يتعلقان بالثاني ، لأن الشك وقع فيه ، والأول كان معروفاً عنده ، فصار ذكره كاللغو فلذلك جاز أن يتعدى ضمير الأول إلى الثاني ، لأن الأول كالمعدوم ، والتعدي في الحقيقة إلى الثاني ، وقوله : « رآه عظيماً » في المثال ، يريد : إذا كان المفعول الأول هو الفاعل المضمّر في « رأى » فاعرفه^(٢).

(١) الزمخشري : الفصل ص ٢٦٢ .

(٢) ابن يعيش : شرح الفصل (المنيرية ، القاهرة د . ت)

. ٨٨ / ٧

ويقول الرضى في شرح الكافية : هذه
الأفعال المذكورة في متن الكافية ، ولفظة
« هَبْ » بمعنى احسب ، و« رأى » الحلمية يجوز
كون فاعلها ومفعولها ضميرين متصلين متحدى
المعنى نحو : علمتني قائماً ، وقال تعالى :
﴿ إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا ﴾^(١) وقال السيوطي :
لا يجوز أن يكون الفاعل والمفعول ضميرين
متصلين لشيء واحد في فعل من الأفعال إلا في
ظننت وأخواتها ، وفي فقدت وعدمت . قاله
البهاء النحاس في تعليقه على المقرب^(٢) .

٢ - جوز بعض النحاة ورود الفاعل مع هذه الأفعال
اسماً ظاهراً نحو : ظنه زيد قائماً ، فإذا كان
الفاعل ضميراً مستتراً يعود على المفعول الظاهر
لم يجز نحو : زيدا ظن منطلقاً^(٣) وقال الرضى :
« والقياس جواز : ظن زيد زيدا قائماً ، أي

(١) الرضى : شرح الكافية في النحو ٢ / ٢٨٥ .

(٢) السيوطي : الأشباه والنظائر في النحو (بيروت ١٩٨٤)

٢ / ٥١ .

(٣) الرضى : شرح الكافية في النحو ٢ / ٢٨٦ .

نفسه» (١) .

والأصوليون من النحاة على أنه إن وجب القياس
لشيء حكماً ، وجاز أن يأتي السماع بضده
فالرأي الأخذ بالقياس حتى يرد ما يبين ذلك (٢) .
٣ - يمكن أن يحل اسم آخر محل الضمير
المنعكس ، من ثم فالضمير المنعكس عنصر من
العناصر المكملة للجملة ، على أن هذا العنصر
مطلوب من الفعل على وجه اللزوم ، فلا يجوز
حذفه . يقول ابن السراج : « . . . وإنما حقه أن
يتعدى فعل المضمر إلى المضمر ، وتكون أيضاً
قد جعلت المفعول الذي هو فضلة في الكلام لا
بد منه وإلا بطل الكلام » (٣) .

ولا يقتصر استعمال أفعال القلوب على
الضمائر المنعكسة ، بل كما تستعمل هذه
الأفعال منعكسة تستعمل غير منعكسة فنقول

(١) السابق، نفسه .

(٢) انظر : ابن جني : الخصائص . تحقيق محمد علي النجار
(القاهرة ١٩٥٢) ١ / ١٢٥ .

(٣) ابن السراج : الأصول ٢ / ١٢١ .

مثلاً : ظننت زيداً قائماً ، أو : ظننتك قائماً ،
أو : ظن زيدٌ عمراً قائماً .

٤ - لا يمكن أن ينعكس الضمير مع أفعال القلوب على « نائب الفاعل » ، ولا أن تبني هذه الأفعال للمجهول إذا اتصل بها ضمير منعكس ، مع انها أفعال متعدية إلى مفعولين ، ومن ثم نعتها حالة خاصة من حالات التعدى ، وتتفق هذه الأفعال من هذه الناحية مع الأفعال المنعكسة في اللغة الألمانية^(١) .

٥ - يطابق الضمير المنعكس مع هذه الأفعال الفاعل في الشخص والنوع والعدد .

٦ - يجوز أن يتقدم الضمير المنعكس مع هذه الأفعال على الفاعل ، كما اتضح ذلك في المثال الذي أورده الرضي ، وهو : ظنه زيدٌ قائماً^(٢) ، فقد تقدم الضمير المنعكس ، وفصل الفاعل بين المفعولين .

(١) Gerebe, P. : Grammatik der deutschen Gegenwarts-Sprache Duden 4. S. 75.

(٢) الرضي : شرح الكافية ٢ / ٢٨٦ .

ب - مع غير أفعال القلوب :

١ - الضمائر المنعكسة مع هذه الأفعال ضمائر تكلم وخطاب وغيبة ، مسبوقة بكلمة (نفس) أو جمعها (أنفس) ، أو بكلمة (إِيَّا) . ويرى رايت أن الضمير قد يرد مسبوقاً بكلمة نفس ، أو عين ، أو وجه ، (وفي العربية المتأخرة : روح ، ذات ، حال) مثل قتل نفسه ، عزَّ به نفسك ، أهلكُ رُوحِي ، أَسَلَمْتُ وَجْهِي لِلَّهِ ^(١) . وقد رأينا أن نطلق على الضمير المنعكس المسبوق بكلمة نفس أو ما يشبهها مصطلح « ضميمة منعكسة » ^(٢) .

(١) Wright, W. A Grammar of the Arabic Language (Beirut 1974³) II P. 272.

(٢) يطلق نحاة الإنجليزية على myself etc وأمثالها مصطلح « الضمير المنعكس » ، ويطلق عليه بعضهم « الضمير المركب » (compound pronoun) راجع :

Thomson & Martinet: A Practical English Grammar. Oxford 1980 P.41, Zandvoort: A Handbook of English Grammar. London 1975 P.144.

٢ - ترد الضميمة المنعكسة في القرآن الكريم في موقع المفعول به لفعل ماضٍ ، أو مضارع ، أو أمر كما ظهر في الشواهد القرآنية التي ذكرناها . وقد ترد مفعولاً ثانياً لفعل متعدٍ إلى مفعولين من غير أفعال القلوب ، وفي هذه الحالة يفصل الفاعل بين المفعولين كما في قوله تعالى :

— ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾ (آل عمران ٢٨)
وترد مفعولاً به للمصدر كما في قوله تعالى :
— ﴿ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ ﴾
(الروم ٢٨)

وقوله عز و علا :
— ﴿ لَمَقْتُ اللَّهَ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ ﴾
(غافر ١٠)

وترد مفعولاً به لاسم الفاعل كما في قوله جل وعز :

— ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ عَلَى آثَارِهِمْ ﴾
(الكهف ٦)

وترد مفعولاً به لاسم الفعل كما في قوله سبحانه :

— ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ﴾ (المائدة ١٠٥)

وترد الضميمة المنعكسة في موقع المجرور بحرف جر أصلي كما نجد ذلك في الشواهد القرآنية الآتية :

— ﴿إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ (آل عمران ٩٣)

— ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ (الأنعام ١٢)
— ﴿فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ﴾

(يوسف ٧٧)
— ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾

(طه ٦٧)
— ﴿وَاضْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ (طه ٤١)
— ﴿أَوْ أَكُنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ (البقرة ٢٣٥)
— ﴿هَذَا مَا كُنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾ (التوبة ٣٥)
— ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾

(الاسراء ٧)
— ﴿شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا﴾ (الأنعام ١٣٠)
— ﴿أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ (المائدة ٥٢)
— ﴿كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ (الأنعام ٢٤)

- ﴿ وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ ﴾ (الأنعام ١٣٠)
- ﴿ فَارْجِعُوا إِلَىٰ أَنْفُسِهِمْ ﴾ (الأنبياء ٦٤)
- ﴿ لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ ﴾
- (الفرقان ٢١)
- ﴿ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ ﴾ (الزمر ٥٣)
- ﴿ فَعَلَنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ ﴾ (البقرة ٢٤٠)
- ﴿ فَإِنَّمَا يَكْسِبُهَا عَلَىٰ نَفْسِهِ ﴾ (النساء ١١١)
- ﴿ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ﴾
- (التوبة ١٢٠)
- ﴿ فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ
- فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾ (يونس ١٠٨)
- ﴿ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ﴾
- (النمل ٤٠)
- ﴿ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ ﴾
- (العنكبوت ٦)
- ﴿ وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ﴾
- (فاطر ١٨)
- ﴿ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَن نَفْسِهِ ﴾
- (محمد ٣٨)

- ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾
 (الفتح ١٠)
- ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾
 (النحل ١١١)
- ﴿لَا أُمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾
 (الأعراف ١٨٨)
- ﴿أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي﴾ (يوسف ٥٤)
- ﴿فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي﴾ (سبا ٥٠)
- ﴿وَمَا تَقْدُمُوا لِنَفْسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾
 (البقرة ١١٠)
- ﴿يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾ (آل عمران ١٥٤)
- ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا﴾
 (النساء ٦٥)
- ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ﴾
 (الأنعام ١٢٣)
- ﴿أَوْ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ (الروم ٨)
- ﴿فَلَا تَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ (الروم ٤٤)

— ﴿ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ ﴾

(المجادلة ٨)

— ﴿ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ﴾ (البقرة ٢٣٤)

— ﴿ وَقَدُّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ ﴾ (البقرة ٢٢٣)

— ﴿ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ ﴾ (آل

عمران ١٦٨)

— ﴿ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴾

(القيامة ١٤)

— ﴿ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ﴾

(الأنعام ١٠٤)

— ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ﴾

(فصلت ٤٦)

وترد الضميمة المنعكسة مع اسم الفاعل دون

فاصل مجرورة بحرف جر أصلي كما في قوله تعالى :

— ﴿ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ﴾ (الكهف ٢٥)

— ﴿ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِم بِالْكَفْرِ ﴾

(التوبة ١٧)

وترد مفصولة بـ (ولو) ، كما في قوله جلّ

شأنه :

— ﴿ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ﴾

(النساء ١٣٥)

وظاهر أن الضميمة المنعكسة المجرورة بحرف جر أصلي غير محفوظة الرتبة ، كما هو شأنها إذا كانت غير منعكسة ، فهي ترد بعد الفاعل ، وبعد المفعول ، ومقدمة على المفعول ، ومقدمة على الخبر ، ومقدمة على الفعل والفاعل ، ومحصورة بـ (إلا) وخبراً لمبتدأ محذوف .

وترد الضميمة المنعكسة في موقع الجر بإضافة المصدر إليها كما في قوله جل شأنه :

— ﴿ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ ﴾ (الحشر ٩)

— ﴿ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلَقَاءِ نَفْسِي ﴾

(يونس ١٥)

— ﴿ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ ﴾ (الكهف ٥١)

— ﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ ﴾

(الأنبياء ٤٣)

وترد في موقع المجرور بحرف جر زائد في محل رفع فاعلاً ، كما في قوله تعالى :

– ﴿ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾

(الاسراء ١٤)

٣ - تعود الضميمة المنعكسة على ضمير بارز متصل ، أو على ضمير مستتر ، أو على اسم ظاهر كما ظهر في الشواهد السابقة .

٤ - تطابق الضميمة المنعكسة ما تعود إليه في الشخص والنوع والعدد .

٥ - من الممكن أن يحل محل الضميمة المنعكسة عنصر لغوي آخر ، وليس في اللغة العربية أفعال لا تستخدم إلا منعكسة ، على نحو ما نجد ذلك مستخدماً في اللغة الألمانية^(١) .

٦ - يجوز أن تبنى الأفعال للمجهول مع الضميمة المنعكسة ، على ألا تكون الضميمة المنعكسة نائب فاعل ، بل يظل لها موقع النصب ، كما في قوله تعالى :

– ﴿ لَا تُكَلِّفْ إِلَّا نَفْسَكَ ﴾ (النساء ٨٤)

(١) Gerbe: Grammatik der deutschen Gegenwartssprache. (١) Duden 4S. 76.

٧ - تستخدم الأفعال المنعكسة من حيث دلالة الصيغة والزمن استخدام الأفعال غير المنعكسة .

٨ - يجوز أن ينحصر الضمير المنعكس عليه ، أي : ضمير الفاعل ، بـ (إلا) فين فصل . ولا تصبح هناك حاجة إلى كلمة « نفس » كما في قولك : ما ضربك إلا أنت وقد أجازته النحاة^(١) .

٩ - يجوز أن ترد الضميمة المنعكسة معطوفة على ضميمة غير منعكسة ، كما في قوله تعالى :
﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ
وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ﴾ (آل
عمران ٦١)

١ - ترد الضميمة المنعكسة عائدة على المفعول به ، كما في قوله تعالى :
﴿ وَأَشْهَدُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ﴾

(الأعراف ١٧٢)

إذ المفعول به هنا فاعل في المعنى ،

(١) الرضي : شرح الكافية ٢ / ٢٨٦ .

فالمعنى - والله أعلم - : جعلهم يشهدون على أنفسهم ، بدليل قولهم في الإجابة عن السؤال الذي وجه إليهم : أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا ، قال الزمخشري : « أي : على أنفسنا »^(١) ومثل ذلك قوله تعالى :

- ﴿ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾ (الحشر ١٩)

١١ - قد ترد الضميمة المنعكسة مقلوبة ، أي : آخذة موقع ما تعود عليه ، تحقيقاً لغرض بلاغي ، كما في قوله تعالى :

- ﴿ سَوَّلْتُ لِي نَفْسِي ﴾ (طه ٩٦) بدل

سولت لنفسي

- ﴿ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً ﴾

(يوسف ١٨) بدل : سولتم لأنفسكم أمراً

- ﴿ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ ﴾ (آل

عمران ١٥٤) بدل : أهتموا أنفسهم

- ﴿ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ ﴾

(١) الزمخشري : الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (القاهرة ١٩٥٣) ٢ / ١٣٧ .

(المائدة ٨٠) بدل : قدموا لأنفسهم

١٢ - قد تقوم (ال) متصلة بـ (نفس) بوظيفة

الضمير المنعكس كما في قوله تعالى :

— ﴿ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾

(النازعات ٤٠)

أي : نفسه^(١) .

والآن بعد أن تم لنا الوصف التركيبي للضميمة

المنعكسة يجدر بنا أن نعود إلى القاعدة الثانية التي

وضعناها فنجري عليها التعديل الأخير ، حتى يمكن

أن « تولد » بها كل الجمل الصحيحة التي ذكرناها ،

وتكون صالحة لتوليد غيرها من الجمل الصحيحة :

القاعدة الثانية :

الضميمة الاسمية التي تطابق ضميمة اسمية

أخرى سابقة عليها في جملة واحدة هي ضميمة

منعكسة .

(١) الطبري : جامع البيان عن تأويل آي القرآن (القاهرة ١٩٥٤)

. ٤٨ / ٣٠

ولما كانت هذه القاعدة تشمل الآن القاعدة الأولى ، وتغنى عنها ، فإننا نختصر القاعدتين في قاعدة واحدة إجبارية هي :

القاعدة : (إجبارية) :

الضميمة الاسمية التي تطابق ضميمة اسمية أخرى سابقة عليها في جملة واحدة هي ضميمة منعكسة .

ثانياً : الوصف الدلالي :

١ - تتحقق العلاقة الانعكاسية في الأمثلة والشواهد السابقة بين عنصرين لغويين أحدهما منعكس والآخر منعكس عليه ، والمنعكس عليه فيما أوردناه من أمثلة وشواهد يتسم بسمتين مميزتين distinctive features هما : [+ حى] ، [+ بشرى] .

٢ - وردت العلاقة الانعكاسية في الأمثلة والشواهد السابقة تامة ، لكن الرضى في شرح الكافية أشار إلى جواز أن تكون علاقة الانعكاس جزئية ، فقد أورد المثال الآتي : رأيتنا مع رسول الله صلى الله

تعالى عليه وسلم ، أي : رأيتني ومن معي ،
وأورد أيضاً قولهم : رأيتُماك تقول كذا^(١) ،
فالضمير المنعكس هنا يعود على بعض المنعكس
عليه .

٣ - يجوز أن تكون العلاقة الانعكاسية تبادلية
reciprocal يصير فيها فعل الانعكاس متبادلاً بين
الفاعلين ، وذلك في نحو قوله تعالى :

- ﴿ فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ﴾ (النور ٦١)
- ﴿ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ ﴾ (البقرة ٨٥)
- ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ (النساء ٢٩)
- ﴿ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ﴾
(البقرة ٨٤)
- ﴿ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ (الحجرات ١١)
- ﴿ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ (البقرة ٥٤)
- ﴿ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ (النساء ٦٦)
- ﴿ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ (الأنعام ٩٣)

(١) الرضي : شرح الكافية في النحو ٢ / ٢٨٥ .

وأكثر ما يكون ذلك إذا كان الفاعل

جمعاً .

٤ - لا تتحقق العلاقة الانعكاسية - في غير أفعال

القلوب - إلا من خلال حدث يمكن أن ينعكس

على الفاعل أو يعود عليه ، فإذا لم يكن الحدث

صالحاً للانعكاس لم يصح استخدام الضميمة

المنعكسة معه ، ويتضح ذلك من الأمثلة الآتية :

أ - أتممت العمل

ب - *أتممت نفسي

أ - تسلمت الجائزة

ب - *تسلمت نفسي

أ - ذقت الطعام

ب - *ذقت نفسي

أ - قطفت الثمار

ب - *قطفت نفسي . . . الخ

٥ - يتحقق معنى الانعكاس دون ضميمة منعكسة

ببعض صيغ الأفعال المزيدة التي تعبر عن معنى

أفعال مجردة أو مزيدة مستخدمة مع ضميمة

منعكسة ، ومن ذلك صيغة (افتعل) ، كما

يتضح ذلك فيما يأتي :

— المرأة غسلت ثيابها

* المرأة غسلت المرأة (إذا كانت المرأة
في الموضوعين شخصاً واحداً)
المرأة غسلت نفسها

المرأة اغتسلت

وقد عرض بروكلمن لبعض ذلك ، فذكر أن
صيغة (تَفَعَّلَ) صيغة انعكاسية لـ (فَعَّلَ) مثل : تكبَّرَ
(= كَبَّرَ نفسه) sich gross machen ، ومثل تنبأ (=
ادعى النبوة لنفسه) sich als propheten stellen ،
وذكر أن صيغة (تفاعل) صيغة انعكاسية لـ (فاعل)
مثل : تقاتلوا (= قاتلوا أنفسهم) sich gegenseitig
bekämpfen ، وقال : نادراً ما تحمل صيغة
(تَفَاعَلَ) معنى الادعاء مثل : تناوم (= ادعى النوم
لنفسه) sich schlafend stellen ، كما ذكر أن كلا من
صيغة (انفعل) مثل : انهزم ، و(استفعل) صيغة
انعكاسية لـ (أفعل) مثل : استوحش sich
betrüben ، ثم قال : ومن الشائع أن تدل هذه
الصيغة على رغبة شخص في تحقيق شيء لنفسه ،
مثل : استغفر^(١) .

(١) Brockelmann, C. : Arabische Grammatik (Leipzig 1960¹⁴)
S. 38 - 40.

على أن لهذه الصيغ معاني آخر تجدها مبسطة
في كتب الصرف ، وقد أفرد لها أحد الباحثين
كتاباً^(١) .

وقد تتبعنا ما ذكره الرضى في شرح الشافية من
معاني هذه الصيغ مما قد يدل على الانعكاس ، فلم
أجده أثبت لـ (انفعَل) المعنى الذي ذكره بروكلمن
لها ، لكنه قال في (تَفَاعَلَ) : تغافلت : أظهرت من
نفسى الغفلة ، وأثبت لـ (تَفَعَّلَ) معنى التكلف ،
وهو حمل النفس على أمر فيه مشقة ، مثل : تحلَّم ،
وتمراً ، أي : تكلف الحلم والمروءة ، وقال في :
(افتعل) : والظاهر أنه لاتخاذك الشيء أصله
لنفسك ، فاشتوى اللحم أي : عمل شواء لنفسه ،
وامتطاه : جعله لنفسه مطية ، وكذا : اغتذى ،
وارتشى ، واعتاد ، وقال في (استفعل) : استعجلت
زيداً أي : طلبت عجلته ، فإذا كان بمعنى عجلت ،
فكأنه طلب العجلة من نفسه^(٢) .

(١) هاشم طه شلاش : أوزان الفعل ومعانيها (النجف ١٩٨١) .

(٢) الرضى : شرح شافية ابن الحاجب . تحقيق : محمد
نور الحسن ، ومحمد الزفزاف ، ومحمد محيي الدين عبد الحميد
(بيروت ١٩٨٢) ١ / ٩٢ وما بعدها .

ثم قال بعد أن سرد معاني الصيغ : « واعلم أن المعاني المذكورة للأبواب المتقدمة هي الغالبة فيها ، وما يمكن ضبطه ، وقد يجيء كل واحد منها لمعان آخر كثيرة لا تضبط ، كما تكررت الإشارة إليه »^(١) .

٦ - ينبغي ألا تلتبس الضميمة المنعكسة (نفسه) وأخواتها بالضميمة المؤكدة التي تتفق معها لفظاً وتختلف معنى ، فهي في الأولى عنصر إجباري دال على انعكاس الحدث على الفاعل ، ولا يمكن حذفه دون أن تختل الجملة تركيباً ودلالة ، وهي في الثانية عنصر اختياري يؤكد اسماً في الجملة برفع الاحتمال عنه ، وحذفه لا يخل بتركيب الجملة ، ولا بمعناها الأصلي ، إذا استغنيانا عن المعنى الإضافي الذي يفيد التوكيد .

وأريد أن ألفت في ختام هذا البحث إلى أن بعض الشعراء المعاصرين أخذوا يستخدمون الضميمة

(١) السابق ١ / ١١٣ .

المنعكسة استخداماً يخرج بها عن القاعدة ، لا
جهلاً منهم بها ، بل اجتراء عليها ، ومن هؤلاء الشاعر
محمد أبو دومة ، فقال في بعض قصائده :

— لكنى لم أعبأ بى

لم أتريث

واصلت لعلني أغفر لي إثمي (١)

وقال في موضع آخر :

— بغيبته أسافر فيه ، أدخله لأعرفني

وأومن بي (٢)

وبعد . فهذا هو الوصف التركيبي والدلالي
للضمائر المنعكسة ، وما تتصل به من أفعال تسمى
أفعالاً منعكسة أيضاً ، عرضت له من خلال المادة
اللغوية الواردة في القرآن الكريم ، وما ورد في كتب
النحو العربي التراثي ، وأفدت فيه من مناهج الدرس
اللغوي الحديث والمعاصر عند الغربيين ، ومن نحاة
بعض اللغات الأخرى في رصد هذه الظاهرة في

(١) محمد أبو دومة : أتباعد عنكم فأسافر فيكم (القاهرة ١٩٨٨)

ص ٥٤ .

(٢) السابق ص ٨٧ .

لغتهم ، ومن نظرات بعض المستشرقين . ولعلنى
أكون بهذا البحث قد جلوت غامضاً ، أو استدركت
فائتاً ، أو أضفت جديداً .

المصادر والمراجع

- أ- العربية :
- ابن جنى ، أبو الفتح عثمان (ت ٣٩٢)
- الخصائص . تحقيق محمد على النجار (القاهرة ١٩٥٢) .
- رضى الدين محمد بن الحسن الاستراباذي (ت ٦٨٦) .
- شرح شافية ابن الحاجب . تحقيق : محمد.نور الحسن ، ومحمد
الزفزاف ، ومحمد محيي الدين عبد الحميد (بيروت ١٩٨٢)
- شرح الكافية في النحو لابن الحاجب (القاهرة ١٣١٠ هـ)
- الزمخشري ، جار الله محمود بن عمر بن محمد (ت ٥٣٨ هـ) .
- المفصل في علم العربية (بيروت د . ت) .
- ابن السراج ، أبو بكر محمد بن سهل (ت ٣١٦ هـ) .
- الأصول في النحو . تحقيق : د . عبد الحسين الفتلى
(بيروت ١٩٨٧) .

- سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠ هـ) .
- الكتاب . تحقيق عبد السلام هارون (القاهرة ١٩٦٦ - ١٩٨٧) .
- السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ) .
- الأشباه والنظائر في النحو (بيروت ١٩٨٤) .
- محمد أبو دومة : أتباعد عنكم فأسافر فيكم (القاهرة ١٩٨٨) .
- محمد فؤاد عبد الباقي : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (القاهرة د . ت) .
- هاشم طه شلاش :
- أوزان الفعل ومعانيها (النجف ١٩٧١) .
- ابن يعيش ، موفق الدين يعيش على بن يعيش (ت ٦٤٣ هـ) .
- شرح المفصل (المنيرية ، القاهرة د . ت) .
- ب - الأجنبية :

Brockelmann, C: Arabische Grammatik (Leipzig 1960)¹⁴

Grebe, P: Grammatik der deutschen Gegenwartssprache. Duden 4 (Mannheim 1973).

Helbig, G& Buscha, J: Deutsche Grammatik. Ein Handbuch Für den Ausländerunterricht. (Leipzig 1980).

Perlmutter, D& Soame, S: Syntactic Argumentation and the Structure of English. (U. S. A 1979).

Thomson, A. J. & Martinet A. V.: A Practical English Grammar (Oxford 1980³).

Wright, W: A Grammar of the Arabic Language. (Beirut 1974³).

Zandvoort, R. W: A Handbook of English Grammar. (London 1975⁷).

المكتبة الوطنية
Bibliotheca Alexandrina



0295888

To: www.al-mostafa.com